الثورة
الجمعة 3 ذو الحجه 1433هـ 19 أكتوبر 2012م العدد (17502)

أنا عشر الحج

هائل الصرمي

أنا عشر الحج من يدركَ قدري
ويغني بابتهاج بين أفناني وزهري
ويصلي بخشوع بين أكنافي
ويمضي في دروب اللّه يتلو بعض ذكري
يلبسُ الصوم نهاراً
وإذا أمسيتُ أمسى تاليا للذكر في سرٍ وجهرِ
فأنا الفجر فمن يعشق فجري
وأنا العطر فمن يلثم عطري
ويزكي النفس بالطاعة والإحسان كي يحمل طهري
أنا روض الحب والإحسان والخير الذي أثقل ظهري
من سيمحو وطأة الذنب مزيلا حملهُ يأخذ حملي
كيف لا يغترف الناسُ ضيائي
ويفوز الكل بالحمل الذي يشرح صدري
أيها المقبل نحوي لك أنواريَ أهديها وعمري
أنت من يكرمُ إقبالي إذا أقبلتُ أو هلّ هلالي
ويغذيني بصوم وصلاةٍ ووصال
أنت نهرٌ من سخاءٍ
كالندى يمطر في الأرض جمالاً من جمالي
من يواسي الناس بالمال الحلال
من يغني بجمال الروح يمضي للمعالي
من أرى عظّمَ حقاً حرمات اللّه
يخشى ذو الجلال
بك يحلو وهج الصوم وتصفو لي الليالي
ليت من يعرض عني يعرف الفضل ويسعى لوصالي
أيها المعرض أقبل قبل أن ينفدَ صبري
قبل أن أمضي سريعاً دون أن تلثمَ خيراتي ورحماتي وثغري
دون أن تعشق عشري وتباريحي و ذكري
دون أن تمحو الخطايا بينابيعي ونهري
دون أن تركب فلك الطاعة المثلى على أمواج بحري
دون أن تغسلك الأنوار أو تحيا سعيدا بعد فجري
فأنا العشر الذي يحمل أنواراً من الرحمن
والقرب من الرضوان دهرا بعد دهر
أعطني قدري ولا تعص إذا وافيتُ أمري
سيخط العمل الصالح لو أحسنتَ في مهجتك البيضاء صبري
ويحل الخير من أوسعه إن صنتَ قدري
وأطعتَ اللّه لا تلوي على أثم ووزرِ
لا تضع ثانية من غير برٍ لو أردتَ الخير ممتدا إلى الأخرى بيسر
ها أنا وفيتُ يا مشتاق فاغنم وثبتي
واحفل بأوقاتي وعمري

«لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»

سلوكيات خاطئة تتنافى مع مقاصد الفريضة

غنائم العشر من ذي الحجة

أن من فضل الله تعالي على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وترفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من المعاصي والسيئات، فالسعيد من اغتنم هذه الأوقات, وإن أحب الأشهر إلى الله تعالى الأشهر الحرم ، وأحب أشهرها إليه شهر ذي الحجة ، وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول, ومن هذا المنطلق حاولنا بأن نجمع لكم في هذه السطور عن فضل العشر, وكيف يجب أن نستقبلها, وما يستحب فعله من الأعمال فيها, وما هي الدروس التربوية المستفادة منها, واليكم الحصيلة.

أعداد/ وائل شرحه

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الخالد: »الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب« . ويقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم: »من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه« . فما هما الرفث والفسوق اللذان تحذر منهما الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف؟ وما ملامح ومواصفات الجدال المنهي عنه شرعاً خلال أداء فريضة الحج؟ وكيف يتحقق التواصل بين ضيوف الرحمن الذين يفدون إلى الأماكن المقدسة من كل بقاع الأرض من دون جدال ونزاع وتعصب مقيت؟ وكيف يعود المسلم من هذه الرحلة المباركة من دون ذنوب أو معاص؟ وما الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها الحاج لكي يحظى بكامل الأجر والثواب؟ هذه التساؤلات وغيرها طرحناها على عدد من كبار علماء الإسلام . . وهذه هي نصائحهم وتوجيهاتهم:

في البداية يؤكد الشيخ محمد الراوي عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، أن الحج ليس مجرد طقوس شكلية يؤديها المسلم في أيام وأماكن محددة . بل هو عبادة روحية تترك أثرها في حياة من يؤديها على الوجه الأكمل وتخلصه من كل ذنوبه وآثامه مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: »من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه« . ويقول: في مقدمة الأهداف الاجتماعية والإنسانية التي تستهدفها فريضة الحج تحقيق التلاقي والتواصل بين ملايين المسلمين الذين يلتقون كل عام في الأماكن المقدسة لأداء المناسك، وهذا التواصل ينبغي أن يتحقق من خلال الحوار المفيد وتبادل الثقافات والمعارف والخبرات، ولا ينبغي أن يقف الزحام الشديد الذي يشهده الحج الآن دون تحقيق ذلك .

ويوضح الشيخ الراوي أن هناك فارقاً كبيراً بين الحوار العقلاني الهادئ والجدال العقيم الذي يفسد روح المودة والتفاهم بين ضيوف الرحمن، وينصح حجاج بيت الله الحرام بالابتعاد عن الجدال العقيم والمناقشات المؤدية إلى النزاع والخلاف والتعصب خلال أداء الفريضة .

سياحة روحية

ويضيف: الحج فريضة تقوم على الصبر والتضحية وتحمل الشدائد والمصاعب، والمسلم الحريص على طاعة ربه والقادر على مقاومة هوى نفسه يعود من هذه الرحلة المباركة بأكبر الفوائد .

وينتهي الشيخ الراوي إلى ضرورة التزام الحاج بالآداب والأخلاقيات الواجبة على المسلم في كل رحلاته وعباداته، فالحج ليس رحلة ترفيهية لكي يشغل المسلم نفسه خلالها بأساليب الترفيه وينشغل بسلوكيات عبثية ومظاهر حياة فوضوية تؤدي به في النهاية إلى إهدار ماله وإضاعة جهده ووقته في ما لا يفيد . بل الحج رحلة عبادة وسياحة روحية ينبغي أن يحرص خلالها المسلم على كل ما يقربه من خالقه، وما يساعده على التخلص من ذنوبه وآثامه والعودة من رحلته طاهراً مطهراً من الذنوب والآثام، وهذا يتطلب من المسلم أن يكون مدركاً لآداب الحج وأخلاقياته وأن يكون حريصاً على كل ما هو حلال متجنباً كل ما يغضب الله عز وجل .

الرفث . . والفسوق

ويشرح الشيخ الراوي مقصود قول الحق سبحانه وتعالى: »فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج«، ويقول: هذه الآية الكريمة توضح جانباً من الآداب والأخلاقيات الكريمة التي ينبغي أن يتحلى بها الحاج خلال رحلته الإيمانية، فمن نوى وأوجب على نفسه الحج وأحرم به فعليه أن يتجنب معاشرة الزوجة وكل ما يؤدي إلى ذلك، فهذا هو معنى »الرفث«، أما »الفسوق« فالمراد به الابتعاد عن كل قول أو فعل يكون خارجاً عن آداب الإسلام . والجدال المنهي عنه هو النقاش الحاد الذي يؤدي إلى التعصب للرأي والتنازع بين الرفقاء والإخوان، لأن هذا السلوك يتنافى مع أهم مقاصد الحج، وهو تلاقي المسلمين من أجل التعارف والتفاهم والاتفاق على كل ما يحقق لهم القوة والعزة والتعاون على البر والتقوى . ولذلك ختم الله سبحانه وتعالى النهي عن الرفث والفسوق والجدال في الحج بقوله سبحانه: »وما تفعلوا من خير يعلمه الله«، ففي هذه العبارة الكريمة حض للمؤمنين على فعل الخير بعد نهيهم عن فعل الشر، ثم قال سبحانه: »وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب«، أي وتزودوا خلال رحلة الحج بالزاد المعنوي وهو تقوى الله وخشيته، فإنها خير زاد ينفعكم في دنياكم وأخراكم وأخلصوا العبادة لخالقكم حتى تعودوا من رحلتكم المباركة بأكبر المكاسب وأفضل الفوائد .

نصيحة للأزواج

وتنصح الفقيهة الأزهرية د . عبلة الكحلاوي أستاذة الشريعة الإسلامية والداعية الشهيرة كل ضيوف الرحمن الذين يصطحبون زوجاتهم معهم خلال هذه الرحلة المباركة بأن يتجنبوا كل سلوك مع الزوجة يؤثر في صحة الحج أو يخرج الحاج رجلاً كان أو امرأة عن روحانية هذه الفريضة وتقول: ينبغي على الزوج أن يتجنب مداعبة زوجته مداعبة فراش أثناء الإحرام بالحج أو أثناء أداء المناسك، فلا يقبلها إذا كان لا يملك التحكم في مشاعره، وعلى الزوجين أن يتذكرا أنهما تركا ديارهما، وقطعا المسافات الشاسعة، وتحملا أعباء الرحلة المادية والجسمانية بغية القربى إلى الله واستكمال أركان الدين، كي يعودا من هذه الرحلة كما ولدا، وقد تخلصا من كل ذنب مصداقاً لقول رسولنا الكريم في الحديث الصحيح »من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه« .

وترى د .عبلة أن معنى الفسوق المنهي عنه في الآية القرآنية الكريمة وفي الحديث النبوي الشريف واسع وشامل فهو يعني عند بعض العلماء الخروج عن طاعة الله، وقيل الفسوق هو السباب مصداقاً للحديث الشريف »سباب المسلم فسوق وقتاله كفر« وقيل الفسوق المعاصي . . وقيل هو الجدال بالباطل، والواقع أن الفسوق يتضمن هذه المعاني جميعها .

ويجب على ضيوف الرحمن أن يتجنبوا الجدال المقيت الذي يغير النفوس ويفرق الصفوف ويصرف القلوب عن ذكر الله، وفي الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه »من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت« وقول رسول الله أيضاً »من حسن إسلام المرء قلة الكلام في ما لا يعنيه« .

عقاب مضاعف

وعن حكم الشرع في ضيوف الرحمن الذين يرتكبون من دون قصد أو من دون وعي بعض المعاصي والذنوب في الأماكن المقدسة تقول د . عبلة الكحلاوي: أنصح هؤلاء بالالتزام بالآداب والسلوكيات الفاضلة طوال رحلتهم المباركة، وأذكرهم بأن الله سبحانه وتعالى كما أجزل العطاء وجعله أضعافاً مضاعفة لمن توجه إليه بفطرة نقية، مستشعراً عظمة المكان، فأصبح وأمسى ذاكراً، عاكفاً، ساجداً، طائفاً، تاركاً من ورائه رغائب الدنيا ومتاعها الزائل، كذلك ضاعف سبحانه العقوبة على من ينتهك حرمة أمنه، ويروع من أمنهم الله، بل جعل لهم قانوناً خاصاً تفردوا به عمن سواهم .

فالأصل قول الرسول صلى الله عليه وسلم »ومن هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة«، فالعبرة بكل ما يصدر عن الجوارح من إثم، ولا عبرة بما يجول في القلب مادام لم يخرج عن الخاطر، أما في مكة المكرمة والمدينة المنورة فالعقوبة تجب بمجرد النية والعزم، فقد قال الحق سبحانه وتعالى في شأن بيته الحرام »ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم« .

لذلك ننصح إخواننا وأخواتنا الذين أنعم الله عليهم بأداء مناسك الحج والعمرة هذا العام، أن يحرصوا في رحلتهم المباركة على كل ما يرضي الله عز وجل، وأن يتجنبوا كل ما فيه شبهة حرام حتى يعودوا بلا ذنوب وآثام كما ولدتهم أمهاتهم .

الحج المبرور

العالم والفقيه الأزهري د . نصر فريد واصل أستاذ الشريعة الاسلامية ومفتي مصر الأسبق يتفق مع الشيخ الراوي في أن أهم مقاصد الحج ومنافعه أن يتلاقى المسلمون من كل فج عميق ليتحاوروا ويتفاهموا ويتناقلوا فيما بينهم الأفكار المفيدة والتجارب والخبرات الرائدة . والمسلم الواعي هو الذي يعرف الخطوط الفاصلة بين الحوار الذي يؤدي إلى التفاهم والتلاقي، وبين النقاش الحاد الذي ينتهي بأصحابه إلى التعصب الأعمى للرأي، فالحوار مطلوب ومرغوب والنزاع والتعصب مرفوضان بكل المقاييس .

ومن هنا ينصح د .واصل ضيوف الرحمن بضرورة التحلي بخلق الرفق في الحوار والرفق في التعامل، فالرفق خلق كريم يجلب لصاحبه رضا الله عز وجل ورضا كل الناس المحيطين به والمتعاملين معه .

وينبه د .واصل ضيوف الرحمن إلى أنهم في رحلة إيمانية مباركة قد لا تتاح لهم مرة أخرى، ولذلك عليهم أن يستثمروا كل دقيقة فيها في طاعة الله والإحسان إلى كل رفقاء الرحلة والتعامل الرحيم مع كل خلق الله حتى يعودوا من رحلتهم محققين لأهداف الحج، وعلى الجميع أن يدرك أن الحج المبرور ثوابه الجنة، كما بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحج المبرور هو الذي يتقبله الله عز وجل ومن علامات القبول أن يرجع الحاج إلى أسرته وأهله وعشيرته خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي، وقد قال بعض العلماء إن الحج المبرور هو الذي لا رياء فيه أو هو الذي لا تعقبه معصية، وقال البعض الآخر: إن الحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم وهو مأخوذ من البر وهو الطاعة . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بر الحج عندما قال: »الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة«، فقال قولته الجامعة: »بر الحج إطعام الطعام وإفشاء السلام« . والمراد بقوله: »ليس له جزاء إلا الجنة« أن جزاء صاحبه لا يقتصر على تكفير الذنوب، وإنما المكافأة الإلهية لمن يخلص في عبادته ويحرص على طاعة ربه ويتخلق بالأخلاق الكريمة خلال هذه الرحلة الشاقة دخول الجنة، وهذا فضل من الله ورحمته .

تواصل المسلمين

ويضيف: على الجميع أن يدرك أن الإسلام دين حوار وتفاهم وجدال بالحسنى، ومن بين أهداف رحلة الحج التلاقي بين المسلمين وتبادل المعارف والعلوم والخبرات والتحاور حول هموم الأمة الإسلامية ومشكلاتها، ولا يمكن أن يقر دين قام على الحوار والإقناع ومقارعة الحجة بالحجة رفض الحوار أو إدانته . لكن لأن الحج فريضة من أبرز أهدافها تحقيق التلاقي والتضامن والتعاون بين المسلمين فإن الجدال والخلاف الذي ينتهي بالمتحاورين والمتجادلين إلى التشاحن مرفوض لأنه ضد أهداف الفريضة .

ويضيف: لقد فسر العلماء قول الحق سبحانه »لا جدال في الحج« بأنه لا مجادلة في غير ذكر الله تعالى في الحج . لا مجادلة في ما لا ينفع . لا مجادلة في أمور خاصة تثير الوجدان وتلهب الذكريات . ومقام الحج مقام خلوص وانتماء إلى الباقي، وخروج من دائرة المنفعة والكسب والمشكلات المؤقتة . ولذلك لا مجادلة في ما يغضب الآخرين ويثير حفيظتهم . لا مجادلة في قضايا تنطق حيثياتها بالعنصرية والتعالي .

من هنا يجب على كل حاج كما تنصح د .عبلة أن يعمل بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: »من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت«، وقوله عليه الصلاة والسلام: »من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه«، وفي رواية أخرى: »قلة الكلام في ما لا يعنيه« .

الجدال المباح

وتعود د . عبلة الكحلاوي لتوضح أن هناك حالات معينة يباح فيها الجدال من أجل الدفاع عن قيم الإسلام وأخلاقياته وترسيخ تعاليمه خلال رحلة الحج وتقول: الواقع أن الجدال قسمان:

جدال في أداء واجب للدفاع عن حق مصداقاً لقوله تعالى: »ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن« . وهذا الجدال يباح في حال الإحرام وغيره . لذلك وجب على كل رجل وامرأة يجدان أن في نفسيهما القدرة على توصيل علم ورفع جهالة حال أداء المناسك أن يفعلا ذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: »الساكت عن الحق شيطان أخرس«، فمن يرى صاحباً في الحج يرتكب إثما عن جهل أو يرتكب محظوراً من محظورات الإحرام أو يصدر عنه سلوك مناف لآداب وأخلاقيات الفريضة، فعليه أن ينصحه ويقوم سلوكه حتى ولو أدى ذلك إلى مجادلته عملاً بقوله تعالى: »وجادلهم بالتي هي أحسن« .

والشكل الثاني من أشكال الجدال هو الجدال بالباطل، وهو الذي حذر منه الخالق عز وجل ونصحنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالابتعاد عنه لأنه يجلب لصاحبه الإثم سواء أكان ذلك في الحج أم في غيره، ولكنه في الحج أكثر إثم وعقاب من الله عز وجل .

وينتهي د . واصل إلى أن التزام الحاج بآداب وأخلاقيات الفريضة يحقق له أهدافها ومكاسبها ويقول: واجب المسلم الذي يترك أهله وعشيرته وينضم إلى قافلة ضيوف الرحمن أن يتأدب بآداب وأخلاقيات الإسلام في كل معاملاته وسلوكه، فلا يغضب على أحد ولا يشتم أحداً أو يسبه أو يسيء إليه، ولا يفعل أمراً من الأمور المحظورة في الحج والعمرة، وأن يكون حسن الخلق مع كل المحيطين به، وأن يتقرب إلى الله بالدعاء مخلصاً في كل الأماكن المقدسة وأن يتجنب كل ما فيه ظلم أو إساءة للآخرين .

لقد أقسم الله بالعشر الأول من ذو الحجة بها في كتابه تبارك وتعالى ، فقال : « والفجر × وليال عشر » قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم هي عشر ذي الحجة أورد الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية قوله : « وقوله : « وَلَيَالٍ عَشْرٍ » ، هي ليالي عشر ذي الحجة ، لإجماع الحُجة من أهل التأويل عليه « .

وأكد ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بقوله : « والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومُجاهد وغير واحد من السلف والخلف وورد ذكر الأيام العشر من ذي الحجة في بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي منها :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام (يعني أيامَ العشر) . قالوا: يا رسول الله ، ولا الجهادُ في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهادُ في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجعْ من ذلك بشيء « .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : » إن العشرَ عشرُ الأضحى ، والوترُ يوم عرفة ، والشفع يوم النحر «(رواه أحمد) وغيره من الأحاديث.

وهنا يُمكن القول : إن فضل الأيام العشر من شهر ذي الحجة قد جاء صريحاً في القرآن الكريم الذي سماها بالأيام المعلومات لعظيم فضلها وشريف منزلتها وان في حياة المسلم مواسم سنوية يجب عليه أن يحرص على اغتنامها والاستزادة فيها من الخير عن طريق أداء بعض العبادات المشروعة ، والمحافظة على الأعمال والأقوال الصالحة التي تُقربه من الله تعالى ، وتُعينه على مواجهة ظروف الحياة بنفس طيبة وعزيمة صادقة .

× كيف نستقبل عشر ذي الحجَّة؟

حري بالمسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة، ومنها عشر ذي الحجة بأمور:

١- التوبة الصادقة :

فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون([النور:٣١].

٢- العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام :

فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهيأ له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى:(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت

٣- البعد عن المعاصي:

فكما أن الطاعات أسباب للقرب من الله تعالى، فالمعاصي أسباب للبعد عن الله والطرد من رحمته، وقد يحرم الإنسان رحمة الله بسبب ذنب يرتكبه÷ فإن كنت تطمع في مغفرة الذنوب والعتق من النار فأحذر الوقوع في المعاصي في هذه الأيام وفي غيرها؟ ومن عرف ما يطلب هان عليه كل ما يبذل ولذلك فاحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الأيام، وأحسن استقبالها قبل أن تفوتك فتندم، ولآت ساعة مندم.

× فضل الأيام الأولى من شهر ذي ألحجه

للأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة خصائص كثيرة ، نذكرُ منها ما يلي :

(١) أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها في كتابه الكريم فقال عز وجل : □ وَالْفَجْرِ × وَلَيَالٍ عَشْرٍ ○ (سورة الفجر : الآيتان ١ –٢). ولاشك أن قسمُ الله تعالى بها يُنبئُ عن شرَفها وفضلها .

(٢) أن الله تعالى سماها في كتابه « الأيام المعلومات « ، وشَرَعَ فيها ذكرهُ على الخصوص فقال سبحانه : □ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ○ (سورة الحج : الآية ٢٨) ، وقد جاء في بعض التفاسيرَ أن الأيام المعلومات هي الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة .

(٣) أن الأعمال الصالحة في هذه الأيام أحب إلى الله تعالى منها في غيرها؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد « (رواه أحمد).

(٤) أن فيها (يوم التروية) ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي تبدأ فيه أعمال الحج .

(٥) أن فيها (يوم عرفة) ، وهو يومٌ عظيم يُعد من مفاخر الإسلام ، وله فضائل عظيمة ، لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، ويوم العتق من النار ، ويوم المُباهاة فعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–أنها قالت : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله عز وجل فيه عبداً من النار ، من يوم عرفة ، وإنه ليدنوَ ثم يُباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ « (رواه مسلم).

(٦) أن فيها (ليلة جَمع) ، وهي ليلة المُزدلفة التي يبيت فيها الحُجاج ليلة العاشر من شهر ذي الحجة بعد دفعهم من عرفة .

(٧) أن فيها فريضة الحج الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام .

(٨) أن فيها (يوم النحر) وهو يوم العاشر من ذي الحجة ، الذي يُعد أعظم أيام الدُنيا كما روي عن عبد الله بن قُرْط عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يومُ النحر ، ثم يوم القَرِّ « (رواه أبو داود) .

(٩) أن الله تعالى جعلها ميقاتاً للتقرُب إليه سبحانه بذبح القرابين كسوق الهدي الخاص بالحاج ، وكالأضاحي التي يشترك فيها الحاج مع غيره من المسلمين .

(١٠) أنها أفضل من الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان ؛ لما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية وقد سئل عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل ؟ فأجاب : « أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة « (ابن تيمية).

(١١) أن هذه الأيام المباركات تُعد مناسبةً سنويةً مُتكررة تجتمع فيها أُمهات العبادات كما أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله : « والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أُمهات العبادة فيه ، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ولا يتأتى ذلك في غيره « .

(١٢) أنها أيام يشترك في خيرها وفضلها الحُجاج إلى بيت الله الحرام ، والمُقيمون في أوطانهم لأن فضلها غير مرتبط بمكان مُعين إلا للحاج

(١٣) ومن فضلها أنها من جملة الأربعين يومًا التي واعَدَهَا الله موسى قال تعالى: □وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ○ (الأعراف: ١٤٢).

(١٤) أن الله أكمل لنبيه دين الإسلام في يوم من أيامها وهو يوم عرفة ، حين نزل على النبي قوله تعالى: □ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا○ (المائدة:٣).

إشارات وشذرات

خواطر حول الحج

شهاب الدين المحمدي
Shab15@ymail.com

ـ في هذه الأيام تشتعل بين جوانح أهل الأذواق نيران الأشواق إلى ناحية الكعبة الشريفة ، وتخفق القلوب خفقان العلم المنصوب إلى هاتيك البطاح القُرشية ويقلق الأشباح حنين الأرواح إلى تلك المشاهد المكية ، فيا سعادة من وفقه الله لحج بيته الحرام ، واجتمع هناك بإخوانه المؤمنين ، الذين أتوا من جميع بقاع الأرض ومن كل فجٍّ عميقٍ مهلّلين مكبرين ، خاشعين لله خاضعين ، قائلين بصوت يُرقق القلوب ويُرضي علاّم الغيوب « لبيك اللهم لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك إنّ الحمدَ والنعمة لك والملك لا شريك لك ، لبّيك وسعديك والخيرُ كله في يديك « .

ـ هناك تشعرُ بلذة كبرى حين ترى النَّاس قد أفاضوا إلى بيتٍ كُسي بالمهابة والإجلال ، فعند رؤيته رفعوا أصواتهم بالتكبير للهَ الكبير المتعال ، وطافوا بالبيت العتيق سبعاً واستداروا ، وضجَّت منهمُ الأصواتُ بالدعوات كلما دارُوا ولاذُوا بمولاهُم من النار واستجاروا ، وهو الذي يُجير ولا يُجَار.(الشيخ / عبد الرحمن الكمالي وبتصرف)

ـ هنالك في الأماكن الطاهرة الزاهرة ، والبقاع المقدّسة الباهرة عند بيت الله ذي العزّة والجلال ، قفْ خاشعاً خاضعاً ذليلاً ، وقل قولة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : « ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنتَ السميعُ العليم « هنالك تشعرُ بعظمة الإسلام وبعزَّة الإيمان ، وبالتساوي بين المسلمين فترى الغنيَ والفقير والرئيس والمرؤوس الكلّ سواء لا فضل لأحد على أحد ولا سلطان لأحد على أحد، كلُّهم على قلبٍ واحدٍ يؤدون العبادة لمولاهُمُ العليِّ الكبير وهم معترفون بشدَّة الافتقار إليه والعجز والتقصير. قال عليه الصلاة والسلام :

(من حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ رجَعَ من ذنوبهِ كيومِ ولدتهُ أمه).

ـ للتأمل :

لبَّيكَ.. وَحْدَكَ كم أحبُّ مناسكاً
ودَّعتُ فيها زَلَّتي وفسادي
لبَّيكَ.. وَحْدَكَ لا يفوزُ بقربكمْ
من لا يُحبُّ حبيبكم ويُعادي
لبَّيكَ.. إني عاشقٌ لمحمَّدٍ
فمحمَّدٌ شُربي وأحمَدُ زادي

(الشاعر / الحارث بن الفضل)